

تمهيد

كان دائماً ما يشغل بالي هو قدرة شخص ما على التأثير في الآخرين إلى درجة الإيمان بأفعاله وأقواله، وهو أمر يستحق التأمل بالفعل ولا يملك أدواته سوى أشخاص استثنائيين؛ كان لهم دور هام وفريد في تحويل مجرى التاريخ وعواطف البشر ومعتقداتهم الدينية والأخلاقية. ويتناول هذا الكتاب هؤلاء الأشخاص الذين حاولت البحث عن مشاعرهم وأحلامهم ونقاط قوتهم وضعفهم، وأيضاً أهدافهم.

وجميعهم؛ باختلاف المكان والزمان؛ كانت لهم صفات واحدة تجمعهم.. وكانوا من العباقر الذين امتلكوا الموهبة والإصرار والقوة النفسية للاستمرار في مشاريعهم.

وفي هذا الكتاب أنا لا أحاكمهم؛ وإنما أقوم برصدهم وتقييمهم من بدايتهم حتى تربعهم على قمة الكلمة التي أطلقوها وبها حكموا لمئات السنين رعاياهم وأتباعهم لتبقى الكلمة دائماً أقوى من الجيوش والأسلحة وذهب الملوك وسطوة السلاطين، وليمح هؤلاء العباقر درساً خالداً لمن جاءوا بعدهم "لا تقاوموا الكلمة إلا بالكلمة".

المقدمة

منذ أن بدأت الحياة البشرية على الأرض بهبوط آدم وحواء من الجنة عرف الإنسان الله بواسطة الرسل والأنبياء الذين تعاقبوا في الظهور على الأرض حسب حاجة تلك المجتمعات لوجود مرشدين وهادين ومصححين لمسار الإنسان كلما تغلّى عن القواعد الأخلاقية والتعليمات الإلهية وأصبح للدين المقام الأول في حياة الإنسان ولم يستطع منذ البدايات التغلّى عن فكرة وجود الله وأنبيائه ورسله واكتسب الدين ورجاله والقائمون عليه مكانة خاصة جدا مكنتهم من التحكم في مصائر الشعوب والتابعين لها مع نزول الديانات السماوية وكتبها المقدسة وأصبح الدين مصدرا للقوة والسلطة في كثير من الأحيان وأدى هذا دائما إلى خلق شكل فاضل للمجتمع الإنسانى تحكمه قواعد دينية مستمدة من الكتب السماوية وتعاليم الرسل والأنبياء ، مما جعل الدين جزءا من التكوين الفطرى للإنسان على مر الزمان وهو الأمر الذى توافق معه الكثيرون وأصبحوا تابعين للدين الذى ارتضوه لأنفسهم بالاختيار أو بحكم الولادة ونفذوا تعاليمه وأوامره ونواهيه المقدسة بإيمان ، وأصبحت تعاليم ذلك الدين ونواهيه هى السائدة وتمثل الفكر السائد لجماعة من المؤمنين ، وهو الأمر الذى لم يوافق البعض من الشخصيات التى ظهرت فى فترات تاريخية مختلفة رأت أن الدين السائد لا يلبى حاجتها ولا يتوافق معها ولا يحقق لها وضعها خاصا ، وهم أشخاص استثنائيون ظهروا بعد نزول الديانات السماوية الثلاث اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام قرروا أن يبتكروا هم مذاهبهم وأديانهم الخاصة بهم التى انشقوا بها عن الدين الأساسى الذى كانوا يتبعونه، ويتحولوا إلى أئمة يكفرون من قبلهم ، ويبحثوا لهم عن أتباع ومريدين ومؤمنين لأفكارهم الجديدة ولا يوجد ما هو أكثر إغراء من وجود شخص يقدم فكرة مجتمع يمثل الفضيلة الإنسانية من وجهة نظره لتصل به وبمن يتبعه إلى الجنة وفى أحيان أخرى إلى تحقيق فكرة الخلاص، أو لتتوافق مع طبيعته الخاصه ورؤيته الحقيقية لفكرة الدين والعلاقة مع الله حتى ولو كانت من

خلال هدم كل ما هو متعارف عليه من القيم والأخلاق والفضائل والتحكم فى الأهواء والشهوات والبعد عن ارتكاب الخطايا والمعاصى وهو الأمر الذى يلقى إقبالا عند البعض الذين يضيقون بالقيود التى تفرضها التعاليم الدينية ولكنه فى نفس الوقت لا يستطيع أن ينفصل عن منظومة الدين فيلتحق بمن يدعوه إلى ممارسة ما يرغب فيه تحت مظلة مشروعة من وجهة نظره وفى إطار من القداسة تبيح له ما يرغب فى ظل عبادة دينية. وإذا كان "الإمام" يمتلك الرغبة فى خلق دين أو مذهب ولديه مقومات خاصة وقدرات تضعه فى مصاف العباقره فكيف له أن يؤثر فى غيره وقد يكون أتباعه على مستوى علمى رفيع ويتقبلون منه أقوالا وأفعالا قد لايقبلها العقل أو المنطق ولا تضيف شيئا جديدا على دينهم الأسمى ، فعندما ننظر فى حالة " الدكتور بريقع " مدعى النبوة بالإسكندرية نجد أنفسنا أمام حالة غريبة فبعض أتباعه كانوا من الحاصلين على درجات الدكتوراه ومع ذلك آمنوا به وصدقوا أن الوحي يأتيه فى صورة أحلام ، ومع اختلاف الدين والدولة والعادات والتقاليد نجد حالة النبي الأمريكى " دافيد كورش " الذى احترق مع ٨٦ من أتباعه فى مزرعة بعد أعلن أن روح الملك داود قد حلت به وأنه سيعيد بناء مملكة الله المستقبلية ، وأن أرواح وأجساد أتباعه ملك له ، وقد يتقبل العقل مقولة أن المدعى قد يكون مخبولا أو يعانى من مرض نفسى ولكن كيف يمكن أن نتقبل أن نجد فى كل حالات " الأئمة " أن هناك من يتبعهم ويؤمن بما يدعون إليه وقد يصل الأمر للتضحية بأرواحهم فى سبيل ذلك ؟، فلا بد أن يكون المتلقى أيضا يمتلك صفات خاصة تؤهله لتقبل تلك الدعاوى أو الرسائل التى يواجه بها دينه الرسمى متحديا عالمه المحيط به وهو أمر نجده فى كل البلدان مع اختلاف الثقافات والأعراف والعادات والتقاليد ومع اختلاف المستويات العلمية والطبقية للأتباع أنفسهم ، والأزمان أيضا فهل تلعب التركيبة النفسية والأهواء دورا فى ذلك أم هى مجرد الرغبة فى التمرد على السائد والمستقر من الأمور .

ونجد هذا فى كثير من الأمثلة التاريخية مثل أتباع " مذهب أطفال الرب " الذين يتقربون إلى الله عن طريق الانغماس فى ممارسة الجنس أو أتباع مذهب الخليستية ومن أشهرهم على الإطلاق الراهب الروسى " راسبوتين " وعلى الطرف الآخر نجد أئمة آخرين لم يرضهم ما وجدوه ولم يتوافق مع طبيعتهم ما تدعو إليه أديانهم

فيسعون لوضع تفسيرات خاصة بهم تتوافق مع رؤيتهم الخاصة وذلك بتفسير وتأويل النصوص الدينية المقدسة حسب رؤيتهم الخاصة مثل أئمة الخوارج فى بداية التاريخ الإسلامى وما تسببوا فيه من حروب هائلة راح ضحيتها آلاف من المسلمين الذين عارضوهم واختلفوا معهم ورغم مرور ما يقرب من ألف وأربعمائة عام على ظهور جماعة الخوارج ، إلا أن أفكارهم لم تختف من العالم حتى باختفاء المؤسسين الأوائل ، فنجد أنهم عادوا إلينا مرة أخرى فى صورة الجماعات الإسلامية المختلفة التى تبنت منهج التكفير بل واستخدم بعض قادتهم نفس الكلمات التى استخدمت فى العصر الأول فمثلا خرج " نافع بن الأزرق " أحد أئمة الخوارج من العراق بدعوى أنها دار للكفر باحثا عن دار السلام ردد " شكرى مصطفى " زعيم جماعة المسلمين أو التكفير والهجرة نفس الكلمات وخرج من أسيوط إلى كهوف الجبل بالمنيا تاركا الكفر باحثا عن السلام وأيضا وجد له أتباعا ومؤمنين بما دعا له وجدوا فى أقواله ما توافق مع طبيعتهم ورؤيتهم وفى بعض الأحيان هروبا من واقعهم الاجتماعى ومشاكلهم مع الفقر والفساد وعدم القدرة على تغيير وتحسين واقعهم فلجأوا إلى فكرة دينية مخلصه تحقق لهم أحلامهم تحت مظلة دينية. خاصة أن الجزء هنا غالبا ليس له علاقة بالدنيا وإنما سيفوز التابع بالجنة التى سيجد فيها كل مالم يستطع تحقيقه فى الدنيا ، وفى بعض الأحيان يكون " الإمام " قادرا على خلق جزء خاص لأتباعه وقد تكون جنته على الأرض وليس فى السماء ، والأمر الشديد الغرابة أن " الإمام " صاحب الدين أو المذهب أو الجماعة يهدم دين جماعته مستخدما فى ذلك الدين أيضا فمن أجل إحكام سيطرته على أتباعه لا بد أن يبتكر لهم دينا جديدا ويروج له مستخدما نفس أدوات الأنبياء والرسل الحقيقيين ، الذين نشروا رسالتهم بدعوة من الله وتلقوا الوحي عن طريق ملائكة أو إظهار معجزات خصهم بها الله سبحانه وتعالى ، فنجد أن مبتكرى الأديان والمذاهب ادعوا أنهم يمتلكون وسائل قريبة من وسائل الرسل سواء قالوا إن التعليمات الإلهية تأتيهم عن طريق الأحلام ، أو الوحي ، أو لديهم قدرات خارقة ، ونجد أن معظمهم حقق نجاحات باتباع هذه الوسائل لأنهم أيضا يمتلكون قدرات خاصة مكنتهم من تحقيق أهدافهم ، فليدهم قدرة هائلة على تغيير قناعات من أمامهم وجعلهم يخرجون من أديانهم ويعتنقون ما يدعون إليه ، وكلهم يمتازون بشخصيات قوية ، وقدرة على الخطابة ، ودارسون

متميزون للتاريخ والأديان ، والأدب ، والأساطير ، وبعضهم لديه قدرة على معرفة الغيبات والسحر ، ويحرصون على أن يحيطوا أنفسهم بقدر كبير من الغموض والحرص على عدم الاختلاط مع الأتباع من أجل التأثير عليهم ونجد أن (الحسن بن الصباح) الذى عرف بأنه زعيم الحشاشين أو أول مؤسس حقيقى لجهاز مهمته الأعتيالى السياسى على أساس دينى ومنهجى ، لم يخرج على أتباعه فى قلعة " الموت " إلا مرتين فى خلال ثلاثين عاما وظهر فيهما على شرفة قصرة ومع ذلك لم يكن أحد يعصى له أمرا وإلا كان مصيره الفناء والهلاك وخسارة الدنيا والآخرة التى وعدهم بها ، وكل مبتكرى المذاهب والأديان يتمتعون بدرجة عالية من الذكاء وقد نجد تفسيراً لهذه النوعية من الذكاء فى العصر الحديث لدى "هوارد جاردنر" عالم الإنثروبولوجى الذى درس عبقرية شكسبير من خلال نظريته " الذكاءات المتعددة" ووجد أن أهم الصفات التى تعبر عن صاحب الذكاء اللفظى أو اللغوى أن يكون يمتلك مخزونا ضخما من الحصيلة اللفوية والكلمات فشكسبير على سبيل المثال استخدم فى مؤلفاته ما يزيد على ٢٥ ألف كلمة مختلفة ، بينما يستطيع الشخص المثقف العادى أن يتعرف على معانى كلمات يصل متوسط عددها ومعانيها إلى ٥ آلاف كلمة ، مع إمكانية توظيف الكلمات فى مكانها الصحيح واللعب بمعانيها وإدخال كلمات ومعان جديدة وتركيبات وجمل لغوية ، كما يمتلك حرفية الكتابة بحيث تمس الكتابة مشاعر القارئ وكأنها كتبت خصيصا له ، وهو الأمر الذى كان يشعر به كل أتباع الأديان والمذاهب تجاه مؤسس دينهم أو مذهبهم الجديد ويواصل العالم الإنثروبولوجى تحليله لعبقرية " شكسبير " فى أنه كان ممثلا جيدا ومعبرا مميّزا عن أفكاره وهى صفات تكاد تنطبق على أئمة المذاهب الذين يتميزون بصفات كثيرة تضعهم فى مصاف العباقرة ، لقدرتهم على التأثير فى الآخرين، ولا بد أن تكون " أمخاخمهم " بها مميزات خاصة بالعباقرة ولكن بالطبع لم يتسن دراستها لأنها تحتاج إلى تشريح ، ونجد أن المخ الوحيد الذى خضع للدراسة والتحليل للتعرف على سمات العبقرية به كان مخ العالم " ألبرت أينشتين " الذى توفى عام ١٩٥٥ وكانت وصيته الأخيرة أن يتم حرق جثمانه بعد وفاته على أن يتم الاحتفاظ بمخه من أجل أن تجرى عليه الأبحاث لمعرفة سر عبقرية الرياضية والفيزيائية ، والعلم هنا بحث فى شكل المخ العبقرى وصفاته فوجدوا أن هناك مناطق معينة فى مخه بها نسبة أكبر من

الخلايا المناعية والتي تحيط بكل خلية عصبية لكي تغذيها وتمدها بالطاقة اللازمة لعملها أى أنه كلما زادت نسبة هذه الخلايا المناعية فى أجزاء معينة فى المخ زادت قدرة الإنسان على التفكير والتخيل والإستنتاج وسرعة رد الفعل وأن وزن دماغه أخف من وزن دماغ الإنسان العادى البالغ كما أن سمك القشرة المخية عنده كان أقل من المعدل الطبيعى عند الرجال العاديين ومن النتائج أيضا أن السطح الخارجى لمخه يتمتع بعمق ملحوظ فى الشقوق الموجودة على السطح الخارجى للمخ خاصة فى المناطق التى يعتقد أنها مسئولة عن القدرات الحسابية وتخيل الفراغات كما فى حالة أينشتين ، كما أظهرت الدراسة أن مخ أينشتين أعرض من الأمخاخ الأخرى بنسبة ١٥ ٪ مما يعطى مساحة أكبر لتشابك النهايات العصبية فى المخ ، وإذا كانت الدراسة قد خصت مخ أينشتين إلا أن صفة التميز والعبقرية يتشارك فيها كل من يمتلك قدرات خاصة ، فالدماغ يتطور باستمرار نتيجة التعليم واكتساب المهارات مما يؤدى إلى تفرع الزوائد الشجرية أو العروق الدقيقة فكلما اكتسب الإنسان معلومات جديدة تزداد تفرعاتها مما يعنى زيادة نسبة الذكاء وبالتالي القدرة على تكوين ذاكرة أقوى فى تذكر المعلومات ، فكلما زاد تشابك الخلايا العصبية فى المخ زادت نسبة تواصلها وتبادلها للمعلومات والعمليات والأمر المؤكد أن هؤلاء الأئمة على اختلاف أفكارهم ومعتقداتهم يمتلكون جميعا عقولا ذكية قادرة على جمع الأتباع وإقناعهم والتأثير فيهم وقد تقترب نسب ذكائهم من العبقرة والتي تتراوح نسبتها بين ١٦٠ و١٧٠ حسب مقاييس الذكاء العالمية ، وعندما يمتلك " الإمام " الذكاء فهو يسمح له أن يتواصل اجتماعيا وبشكل واسع مع الآخرين ، وتمكنه من اكتشاف رغباتهم المعلنة وغير المعلنة أو بمعنى آخر ما يقومون به بالفعل أو ما يرغبون بالقيام به ، أو ما يتمنون القيام به وهنا يصبح هذا العقل الخاص بالقدرة على النفاذ إلى داخل النفس البشرية والتجول بداخلها بحرية كاملة حتى يصل إلى النقطة التى تتوافق مع معتقداته التى يروج لها وبالتالي يحدث التوافق ويحقق الغرض الذى عمل من أجله ، فعندما يطلق " الإمام " دعوته يعلم علم اليقين أنه يضغط على نقطة ما فى عقل من يوجه له الدعوة وينتظر فى هدوء رد الفعل الذى يريجه وهو ما نجده بوضوح فى حالة " عبد الله بن سبأ " وهو من أخطر الشخصيات على الإطلاق فما دعا إليه منذ ١٤٠٠ عام تقريبا يعانى منه المسلمون حتى الآن فلقد زرع بذكاء شديد وبحرفية

بالغة بذور الفتنة بين المسلمين ، وهو من أشد الشخصيات غموضا حتى إن البعض يذهب إلى أنه شخصية لا وجود لها ، وإن كان تأثير دعوته قد كان له دور هام فى التحريض على مقتل عثمان بن عفان الخليفة الثالث (٣٥هـ) ، وقيل إن عبد الله بن سبأ يهودى يمنى ادعى الإسلام كى يمتلك القدرة على تخريبه بطريقة آمنة عن طريق الدس فيه ونشر الفرقة وهدمه من الداخل ، وسمى أيضا بابن السوداء لأن أمه كانت سوداء البشرة وينسب إليه غرسه لعقيدة " الحلول والتناسخ" وهى من معتقدات الديانات الثنوية والهندوسية والبوذية والتي تأثرت بها اليهودية إلى حد كبير ومن أهم تعاليمه " الوصاية والرجعة" وهما تعدان أهم ركائز أفكاره ودعوته التى تفرغ لنشرها ما بين المسلمين فى مصر والشام والعراق ، وقد نجح بالفعل فى تأليب الكثيرين ضد عثمان بن عفان عندما اتخذ من الوصاية التى تعد درجة فوق الإمامة وتحت النبوة دليلا على صحة دعوته فأذاع أن عثمان قد اغتصب الولاية من على بن أبى طالب، وكان يتصيد الأخطاء لعثمان ويضخم الأحداث وخاصة فى مصر عندما شعر بغضب أبناء القبائل اليمينية التى استقرت فى مصر ومشكلات توزيع أسهم الغنائم التى كانت لا تتجاوز سهمها واحدا لهم مقابل ثلاثة أسهم للفرسان فكان يزيد من غضبهم ويؤلبهم على حكم الخليفة ، وعندما تولى على بن أبى طالب الخلافة كان ابن سبأ أول من دعا إلى تأليه على وقال إن كل إمام " وصى " لمن قبله بمعنى أن على وصى الرسول صلى الله عليه وسلم وأن الحسن وصى على والحسين وصى الحسن وأن الرسول سيرجع مرة أخرى وقال " عجبت لمن يقول برجعة المسيح ، ولا يقول برجعة محمد وأن روح محمد قد انتقلت إلى على الذى عندما سمع منه هذا الكلام كاد يقتله ومنعه " عبد الله بن عباس من قتله وقال له " إن قتلته اختلف عليك أصحابك ، وأنت عازم على العودة لقتال أهل الشام ، ونفاه على إلى المدائن بالعراق ، ولم يكف ابن سبأ عن نشر دعوته وأصر على قوله بأن على بن أبى طالب هو الروح الإلهى المجسدة فهو بذلك ممثل لله وأنه سيرجع بعد موته، وبعد مقتل على رضى الله عنه شاهد ابن سبأ حب الناس له وتأثرهم الشديد بمقتله وتألمهم له ، فوجد أن الفرصة سانحة لنشر المزيد من الأساطير حوله فأذاع بين الناس أن من قتل لم يكن " عليا " وإنما هو الشيطان بعد أن تشبه به وأن عليا كرم الله وجهه قد صعد إلى السماء ، وقال " لو أتيتمونا بدماعه ألف مرة ما صدقنا موته ، ولا يموت

حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وأشاع أن صوت الرعد هو صوت على والبرق الذى يلمع فى السماء ما هو إلا تبسم على حتى أن أتباع عبد الله بن سبأ كانوا عندما يسمعون صوت الرعد يرددون بخشوع " السلام عليك يا أمير المؤمنين " وبلغ الأمر بأتباعه فى نهاية المطاف بتأليه على وأبنائه ، واستمر ابن سبأ فى دعوته بالكوفة وهو يكتسب فى كل يوم أتباعاً مستغلاً فى ذلك النعرات القبلية والخلافات ما بين العرب والموالى (المسلمون غير العرب) فنجح فى أن يخلق فرقة ما بين المسلمين ما زالت مستمرة حتى اليوم.

وإذا كان ابن سبأ أحد الأئمة الذين عملوا بجد واجتهاد من أجل تأسيس مذهبهم متنقلاً بين البلدان من أجل نشر دعوته ، فإن رجلاً آخر خلق أتباعه مذهبهم وألهوه بعد وفاته وهو الحاكم بأمر الله (٢٢٠ هـ) ، أكثر الشخصيات غموضاً فى التاريخ ، فهو الخليفة الحائر ما بين العقل والجنون ، والزهد والملك ، والقرب من الله وادعاء الألوهية التى أكد كثير من المؤرخين أنه وافق على تحوله إلى إله ثم تراجع ثم اختار أن يحل الإله فى جسده بدلاً من أن يكون هو الإله ، وحتى نهايته كانت أسطورية فهو قد اختفى ببساطة شديدة فى جبل المقطم ولم يعثر سوى على حماره ، ورغم أنه اختفى إلا أن أتباعه من بعده خلقوا له مذهباً ما زال قائماً حتى اليوم ويعرف " بالدروز" وتعد حالة الحاكم من أغرب الحالات فى التاريخ فهو لم يدع إلى مذهبهم وإنما دعا إليه من آمن به بعد موته . وأصبح ملهماً لمذهب اختاره أتباعه ولم يضع هو قواعده.

إنه الخليفة أبو على منصور الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله الفاطمى ، الخليفة الثالث من خلفاء الفاطميين بمصر ، ولد بالقاهرة سنة ٣٧٥ هجرية وتولى الخلافة بعد موت أبيه العزيز بالله سنة ٣٨٦ هجرية ، كانت أمه من أسرة مسيحية عريقة تنتسب إلى الطائفة الملكية القبطية، وكان لها شقيقان هما "أرسانيوس" كان مطراناً للقاهرة ثم عين بعد ذلك بطريرك الإسكندرية سنة ٣٩٠ هجرية والثانى هو "أرسطيس" وكان بطريرك بيت المقدس ، ولم يكن له سوى شقيقة واحدة هى " ست الملك " وكانت حازمة ، عاقلة ، لديها خبرة فى أمور الحكم.

وتولى الحاكم بأمر الله الخلافة وكان عمره أحد عشر عاماً ولكن تحت وصاية برجوان الصقلى أمين والده الخاص ، والحسن بن عمار وزيره وأمير قبيلة كتامة

المغربية ، ومحمد بن النعمان قاضى قضاة الدولة ، وقد عهد العزيز بالله بالوصاية الفعلية إلى برجوان الذى كان يلقب " بأبى الفتوح " وتناحر الثلاثة على الحكم فى حين ظل الحاكم فى رعاية أمه وشقيقته ست الملك حتى بلغ الخامسة عشرة من عمره وتخلص من أوصيائه وعين بدلا منهم رجالا وثق فيهم ، لم يكن التخلص من أعدائه أمرا سهلا ولكنه تطلب منه سفك الكثير من الدماء بلا تردد حتى أن قسوته الشديدة فى التعامل مع من اختلف معهم كانت مضرب الأمثال .

فقد كان مسرفا فى القتل لحماية مملكته حتى أن أحدهم قال فى وصف حالته " لعمرى إن أهل مملكته لم يزالوا فى أيامه آمنين على أموالهم غير مطمئنين على أنفسهم " كانت شخصيته قد تشكلت وكذلك هيئته التى وصفها المؤرخون بأنه كان ذا بنية قوية متينة متناسبة طولا وعرضا ، مبسوط الجسم ، فارع الطول ، بارز الصدر ، مهيب الطلعة ، له عينان كبيرتان سوداوان تمازجهما خضرة ذات نظرات حادة مروعة كنظرات الأسد ، فلا يستطيع الإنسان التحديق فيهما ، وله صوت جهورى قوى مربع وقد حكم " الحاكم بأمر الله " دولة امتدت من المحيط الأطلسى إلى جبال طوروس فى شمال الشام ، وشملت جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا والجزيرة العربية ودان له بالإمامة عدد كبير من أهل العراق وفارس والهند ، فكان إمبراطورا على أكبر دولة فى عصره وظل حكمه ٢٥ عاما من سنة ٢٨٦ إلى ٤١١ هجرية . كان يمتلك شخصية شديدة الغرابة حتى أن بعض المؤرخين أرجع تصرفاته الغريبة إلى مرض أصابه فى صغره وأثر على عقله مما جعل تصرفاته مليئة بالتناقضات فكان يأخذ ما تحتويه خزائن عائلته ووزرائه ويوزعها على الفقراء والمساكين ، وكان من عادته أن يجلس فى إحدى نوافذ القصر فى وقت محدد فيأتيه الفقراء فيفرق عليهم الصدقات ، وألقى الحاكم الحفلات العامة والمآدب التى كانت تقام فى قصر الخلافة ، ونهى عن تقبيل الأرض بين يديه والسجود أمامه ، كما ألغى استعمال كلمة " مولانا " واكتفى بأن يقال له " السلام على أمير المؤمنين " ولم يكتف بذلك بل خلع الملابس المذهبة والمزينة بالأحجار الكريمة وارتدى الصوف والملابس الخشنة ذات اللون الأبيض مع العمامة الخضراء ، ثم غيرها بعد ذلك إلى اللون الأسود . لم تستمر حالة الورع والتقوى لدى الحاكم طويلا ، فكان تارة يحب العلم ويشجع العلماء ويبنى لهم المدارس الفقهية ثم يهدمها ويقتل العلماء ، وكانت له سياسة خاصة مع المقربين

منه فقد كان يحرمهم من القابهم التي منحها لهم حتى يؤدبهم فإذا لم يعف عنهم قتلهم ، وكان يرغب فى معرفة ما يدور فى منازل وزرائه وأقربائه وأمرائه فكان يرسل العجائز من النساء إلى بيوتهم ليتجسسوا على أخبارهم لينقلوها له ، ثم يفاجئهم بما يعرفه عنهم ويدعى أنه يعلم الغيب وذكر ابن إياس فى " بدائع الزهور " أنه عندما ذاع عن الحاكم ادعاؤه بمعرفة الغيب كتب له بعض الناس ورقة وضعوها على المنبر قالوا فيها " بالجور والظلم قد رضينا وليس بالكفر والحماقة .. إن كنت أوتيت علم الغيب بين لنا كاتب البطاقة " فلما قرأ تلك الورقة سكت عن الكلام فى أمر ما كان يدعيه من غيب ، وإن كان لم يمتنع عن إصدار الأوامر التي كانت تزداد غرابة مع الأيام فقد منع الناس من زراعة الملوخية والقرع والترمس ومنع بيع الزبيب والعسل الأسود ، وعرف عنه تفضيله للجلوس فى الظلام وفى أحيان أخرى كان يوقد الشموع فى الليل والنهار ، ومن غرائب ما ذكره المقرئى فى " الاتعاظ " من أنه فى شهر صفر من سنة ٢٩٥ هجرية كتب على المساجد وعلى أبواب الحوانيت والمقابر بسبب السلف ولعنهم ، ونقش ذلك ولونه بالأصباغ والذهب ، ثم إنه فى تاسع ربيع الآخر سنة ٣٩٧ هجرية أمر الحاكم بمحو ما هو مكتوب على المساجد والأبواب وغيرها من سب السلف فمضى بأسره " وكان يخص أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب بسبابه ، ولم يكتف بذلك بل أرسل بعضا من أتباعه إلى المدينة المنورة ليحضروا نفقا يصل إلى الروضة الشريفة ليسرق جثتى أبى بكر وعمر ، ولكن انكشف أمر جماعته وقبض حاكم المدينة على الجماعة وقتلهم جميعا ، وكان للحاكم عادة غريبة ، فقد كان يكتب أوراقا تحوى أوامر بالعقاب وأخرى بالخير والعطاء وكان ينثرها فى الريح بين جمع من الناس ، فمن تقع ورقة بالخير قرب شخص ما ينفذ ما جاء بها وإن وقعت بالشر ينفذ أيضا ما جاء بها ، وحملت الكثير من أوامره طرافة واضحة من نوعية أنه أمر بأن لا يباع سمك بلا قشر ولا يصطاده أحد من الصيادين وقد يكون المقصود "سمك القرموط" وهو يعيش فى الترغ والآبار وفسر البعض أوامر الحاكم بأن هذا السمك مسموم ولهذا منع صيده وبيعه ، ونسب إليه أيضا منعه لصناعة أحذية النساء حتى لا يخرجن من منازلهن ، وأمرهن أن لا يكشفن وجوههن فى الطريق ، وإن كان البعض التمس له العذر فى ذلك بأنه كان يحافظ على الأخلاق والفضيلة بعد شيوع الفواحش فى المجتمع ، وإن كان حرصه على الأخلاق الحميدة لم يمنعه من ادعاء

الألوهية قبل مقتله بثلاث سنوات وبعد أن قضى فى الحكم ١٨ عاما ورغم مكانته كإمام معصوم حسب العقيدة الإسماعيلية إلا أنه لم يكتف بذلك وراقتة فكرة تحوله لإله بدلا من أن يكون وصيا للإله ، فبدأ يدعو الناس إلى تأليهه وعبادته بعد أن أقنعه اثنان من المقربين إليه بهذه الفكرة هما محمد بن إسماعيل الدرزى والثانى حمزة بن على كانت الدعوة فى البداية سرية وجهر الحاكم بها فى عام ٤٠٨ هـ فأمر الرعية بأنه إذا ذكر الخطيب على المنبر اسمه فعليهم أن يقوموا على أقدامهم صفوفًا إعظامًا وإجلالا لذكوره واحتراما لاسمه فكان يفعل ذلك فى أرجاء مملكته حتى فى الحرمين الشريفين وقد أمر أهل مصر على الخصوص إذا قاموا خروا سجدا حتى ليسجد بسجودهم من فى الأسواق من الرعاع وغيرهم ممن كان لا يصلى الجمعة فكانوا يتركون السجود لله فى يوم الجمعة ويسجدون للحاكم بأمر الله ، واكتشف الحاكم أن المصريين يسخرون من ادعائه الألوهية وأنهم لا يصدقونه مما أشعره بالغيظ الشديد ، مما جعله متربصا بهم ، وتعلم المصريون التعامل مع الحاكم وكانوا عندما يضيق بهم الحال يبتكرون الوسائل المناسبة للتعامل معه ، فكان من عادتهم أن ينتظروا مروره وهو راكب فى طريقه ليعرضوا عليه مشكلاتهم وكانوا يدسون له الأوراق بالدعاء عليه وسبه هو وأسلافه ، ثم عمدوا إلى مضايقته أكثر فصنعوا تمثالا لامرأة وألبسوها ووضعوها فى طريقه ووضعوا فى يدها ورقة كأنها تشتكى له ، فأخذ الحاكم الورقة فوجد فيها ما أحزنه وعرف أن الشعب يسخر منه فرجع إلى قصره بالقاهرة وأمر قاداته وجنوده وعبيده بإضرام النار فى بيوت المصريين ونهبها وقتل من يظفرون به منهم وقال ابن تغربردى "فى النجوم الزاهرة" يصف ما حدث "وعلم أهل مصر بذلك فاجتمعوا وقاتلوا عن أنفسهم ، فاستمرت الحرب بين العبيد والرعية ثلاثة أيام ، والحاكم يركب كل يوم إلى القرافة ويطلع الجبل ويشاهد النار ويسمع الصياح ويسأل عن ذلك فيقال له، العبيد يحرقون مصر وينهبونها فيظهر التوجع ويقول لعنهم الله من أمرهم بذلك " .

ويتابع ابن إياس تسجيل هذه الواقعة بالتحديد ويقول " : ضج الناس إليه واستغاثوا به ، وطلع إليه العلماء والصلحاء يشفعون فى الناس فعفا عنهم ، بعد ما احترق من المدينة نحو ثلثها ، ونهبت أموال الناس وسبيت النساء وقتل منهم ما لا يحصى " .

ازداد ظلم الحاكم وازدادت غرابة أطواره وكانت شقيقته " ست الملك " تراقب ما يحدث بدقة حتى اتخذت قرار التخلص منه وانتهزت فرصة صعوده إلى جبل المقطم لمراقبة النجوم كما اعتاد ودبرت مقتله ولم يعثر أحد على جثته وكل ما عثر عليه كان ملبسه الملطخة بالدماء وحماره .

لم تنته قصة الحاكم بأمر الله بمقتله وإنما هي في حقيقة الأمر قد بدأت ، ساهم في ذلك اختفاء جثته الغامض الذى مهد الطريق لولادة مذهب تم تتويج الحاكم على رأسه كإله بعد اختفاء جسده ، فلم يرض " حمزة بن على " داعية الحاكم الأول والمسئول عن زرع فكرة تحوله لإله بأن ينتهى مشروعه بموت الحاكم فمنذ أن دخل حمزة مصر قادما من بلاد فارس فى عام ٤٠٥ هـ وهو يعمل بجهد على مشروعه بعد أن انتظم فى سلك دعاة الفرس بدار الحكمة وعمل باجتهاد وأرسل الدعاة والرسائل للتبشير بحكمة وعلم " الحاكم " وكان شديد الاقتناع بتأليهه حتى أن "الحاكم" قربه إليه وأسكنه فى قصره وكان هناك اثنان من الدعاة يعاونان "حمزة" فى دعوته هما محمد بن إسماعيل الدرزي والحسن الفرغانى المعروف بالأخرم كانا من أخلص الدعاة لتأليه الحاكم ونشطا فى تجميع الأتباع وتجنيد الدعاة ، وكانت نهاية الأخرم سريعة بعد أن هاجمه رجل من أهل السنة وقتله ومعه ثلاثة من أتباعه ، واستمر " الدرزي " معاونا لحمزة فى دعوته حتى قيل إنهما نجحا فى تجنيد مائة ألف من الدعاة والأتباع وكان " الحاكم " يتابعهما راضيا ومؤيدا حتى دب الخلاف ما بين حمزة وإسماعيل بسبب أن إسماعيل أعلن عن دعوة تأليه " الحاكم " فى وقت مبكر لم يرض عنه " حمزة " فلم يجد " الحاكم " حلا سوى إبعادهما عن بعضهما فأشار " الحاكم " على إسماعيل بالسفر إلى وادى تيم "الشوف" بالشام، فى نفس الوقت الذى احتفظ فيه بوجود حمزة بجانبه والذى أعلن صراحة عن ألوهية " الحاكم " عام ٤٠٨ هجرية ولقب نفسه "بإمام الزمان " " والمنتم من المشركين بسيف مولانا" ولقبه الحاكم "بالإمام " استمر حمزة بدعوته حتى قتل الحاكم واختفى جسده وتولى من بعده ابنه "الظاهر" الذى أبطل دعوة أبيه وطارده دعائه فاخفى حمزة بعد أن أعلن لأتباعه أنه سيختفى هو الآخر ليعود مع الحاكم آخر الزمان وإن كان موت " الحاكم " لم يمنعه من تصفية حساباته مع غريمه إسماعيل الدرزي فأرسل إليه من يقتله ، ليحتل حمزة وحده المكانة الأولى وليضع القواعد لتأسيس مذهب " الدرزي " ورغم أن

المذهب حمل اسم "الدروز" إلا أن القداسة ذهبت لحمزة من وقتها وحتى الآن .
 وضع "حمزة" قواعد مذهب الدروز القائم على تأليه الحاكم الذى قام على أن
 الإنسان لا يمكن أن يعبد الله بدون أن يراه ، ولا يكفى أن يكون الله رمزا لا يدرك
 بالأبصار فكان من الضروري أن يحل الله فى أشرف مخلوقاته وهو الإنسان ،
 والحلول عنده حدث فى جسد إنسان ما ظل ينتقل حتى وصل إلى جسد " الحاكم
 بأمر الله" الذى جمع ما بين الطبيعتين الإنسانية والإلهية بعد أن اختاره الله الواحد
 الأحد ليحل فى جسده وليوضح "حمزة" الأمر قال: "لكنه سبحانه أظهر لنا حجابيه
 الذى هو محتجب فيه ، ومقامه الذى ينطق منه ، نعبد موجودا ظاهرا رحمة منه لهم
 ورأفة عليهم " وهو بذلك يقول إن الله اختار جسد الحاكم ليحل فيه حتى يرحم
 عباده ويجعل التقرب إليه أسهل على العباد ، ولم يترك "حمزة" أمر إيمان الأتباع
 عشوائيا ولكنه جعلهم يلتزمون بميثاق أسماه " ميثاق ولى الزمان " يتلوه من يرغب فى
 اعتناق المذهب فيبدأ بالتبرؤ من كل الأديان والمعتقدات الأخرى قبل أن يتلو نص
 القسم " توكلت على مولانا الحاكم الأحد ، الفرد الصمد المنزه عن الأزواج والعدد ،
 أقر فلان بن فلان إقرارا أوجبه على نفسه ، وأشهد به على روحه وهو فى صحة من
 عقله وبدنه ، وجواز أمره ، طائعا غير مكره ولا مجبر : أنه قد تبرأ من جميع
 المذاهب والمقالات ، والأديان ، والمعتقدات ، على اختلاف أصنافها وأنه لا يعرف شيئا
 غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره ، والطاعة هى العبادة ، وأنه لا يشرك فى عبادته
 أحدا ، مضى أو حضر أو ينتظر " .

ومن يتلو هذا القسم ويقر أن ليس فى السماء إله معبود ، ولا فى الأرض إمام
 موجود ، إلا مولانا الحاكم جل ذكره ، كان من الموحدين .
 وعكف "حمزة" على محو الصورة البشرية التى ولد وانتفى لها " الحاكم" فجرده
 من علاقته بأبيه وبابنه .

وأكد علماء الدروز أن الله تجلى فى الحاكم رحمة بهم حتى يشاهدوه ويؤمنوا به
 ويعبدوه وأنه لن يتجلى فى أحد بعده ولهذا يعبدونه ويقدمونه وينتظرون ظهوره بعد
 غيبته بعد ٧٣ ألف سنة . وقربوا المعنى حتى يكون مفهوما لدى العامة فقالوا " إن
 الإله المعبود اتخذ لنفسه صورة إنسية سماها الناس " الحاكم بأمر الله " مثلما يتخذ
 الإنسان ثيابه فيرتديها ثم يطرحها ويرتدى غيرها . وهكذا حل الله فى صور متعددة

كان آخرها الحاكم " ولأن الحاكم فى عقيدة الدرروز هو الله الذى لا يد أن يتخذ لنفسه رسولا يهدى ويبشر فكان " حمزة " هو ذلك الرسول فلم ينس نفسه وأحاطها بهالات التكريم والقداسة وخص نفسه بالعديد من الألقاب التى تناسب مقامه كرسول فأطلق على نفسه " الآية الكبرى ، وآية التوحيد ، وآية الكشف، والعقل الكلى والإرادة وبأنه أصل المبدعات ، والطور ، والكتاب المسطور ، والبيت المعمور ، وصاحب البيت والنشور ، وناسخ الشرائع ، ومهلك العالمين ، والنار الموقدة التى تطلع على الأفئدة ، وغيرها من ألقاب التعظيم والتفخيم ، واستمر "حمزة " فى تأليف الرسائل والكتب التى سجل فيها عقيدة الدرروز التى يعيش أتباعها فى لبنان وسوريا وفلسطين ، وتعد " رسائل الحكمة " وعددها ١١١ رسالة من أهم الكتب المقدسة لديهم وكتبها حمزة بن على وبهاء الدين والتميمي وهناك كتاب " النقاط والدوائر " كتبه حمزة وإليه أيضا ينسب " النقض الخفى " الذى نقض فيه الشرائع كلها وخاصة أركان الإسلام الخمسة إلى جانب " ميثاق ولى الزمان " إلى جانب بعض مؤلفات علماء الدرروز ومنهم " بهاء الدين أبو الحسن على بن أحمد السموقى " الذى كان له دور كبير فى نشر الدعوة وقت غياب حمزة سنة ٤١١ هجرية وقد ألف " رسالة التنبيه والتأنيب والتوبيخ " ورسالة التعنيف والتهجين " وهو الذى أغلق باب الاجتهاد فى المذهب حرصا على بقاء الأصول والقواعد التى وضعها هو وحمزة ، ويبرز أيضا " أبو إبراهيم إسماعيل بن حام التميمي من علماء الدرروز وكان صهر حمزة وساعده الأيمن فى الدعوة وهو الذى يليه فى المرتبة وإلى جانب هذه المؤلفات هناك " مصحف المنفرد بذاته "

ومن علماء الدرروز فى العصر الحديث يبرز سامى مكارم الذى كانت له عدة مؤلفات فى الدفاع عن الدرروز وعدنان بشير رشيد ود. نجيب عسراوى .

ويقسم الدرروز إلى ثلاث درجات ، كل درجة لها خصوصيتها الشديدة :

فطبقة العقل ويسمى رئيسهم " شيخ عقل " ، وهم طبقة رجال الدين الدارسين والحافظين على المذهب والمطلعين على أسرارهم ، ويأتى بعدهم طبقة الأجاويد وهؤلاء الذين اطلعوا على تعاليم الدين والتزموا به ، ثم يأتى "الجهال " وينقسمون إلى أمراء وجهال وهم عامة الناس ولايتلقى الدررزى تعاليم دينه وعقيدته ولا يكون مكلفا بتعاليمها إلا إذا بلغ سن الأربعين وهى سن العقل لديهم .

ويمكن أن نختصر أفكار ومعتقدات المذهب فى عدة نقاط أساسية وهى اعتقادهم فى ألوهية الحاكم بأمر الله وأنه غائب وسيعود إليهم بعد ٧٣ ألف عام من تاريخ اختفائه فى عام ٤١١ هجرية وهو بداية التقويم الخاص بهم ، كما أن مصحف المنفرد بذاته هو الكتاب المقدس الذى أوحى به "الحاكم " أو الإله على صفيه ورسوله حمزة والذى به ميثاق ولى الزمان الذى لا يبد أن يتلوه الدرزى ، وتسمى نصوصه " أعراف" وهى تشبه " السور" فى القرآن وكلها تدور حول تأليه الحاكم ولها أسماء للتعريف بها وفى عرف "تجلى شمس الحقيقة وتغريد الحمامة الأزلية" والحديث فيها موجه من الحاكم إلى رسوله حمزة يقول فيه " بلغ ، بلغ ، بلغ ، يا أبا إسحاق ، ومولانا الحاكم البارى يشهد أنى قد بلغت ، وأنذر عشيرتك ومن حولك ، واكتب ، وأعلم جميع المدائن ، وليدخل بلاغك كل بيت ، ولتسمعه كل أذن ، وأنذرهم بالليل والنهار ، بلغ ، وقل لهم قولاً لنا ، لعلمهم يتذكرون أو يخشون ، وادع إلى سبيل مولانا الحاكم الخالق البارى بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بما فى أيديهم وما خلفهم " ويبدو الاقتباس واضحاً من آيات القرآن الكريم وهو أمر مرتبط بالخلفيات الإسلامية لمؤسسى مذهب الدروز وهناك الكثير من نصوص مصحف الدروز وردت فى كتاب «إسلام بلا مذاهب» للدكتور مصطفى الشكعة والذى كان له الفضل الأول فى الكشف عن كتابهم المقدس والذى كان سرّاً سمع عنه كثيرون ولم يطلع عليه أحد ولهم موقف محدد من الأنبياء جميعاً فهم ينكرونهم ولا يعترفون برسالاتهم حتى أنهم يصفون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأوصاف لا تليق فى كتاب "النقط والدوائر ، ويؤمن الدروز بتناسخ الأرواح وأن الثواب والعقاب يكون بانتقال روح الشخص المؤمن إلى جسد شخص مؤمن وسعيد فى الدنيا ، وتنتقل روح الخاطئ إلى جسد شرير وشقى وبذلك يتحقق الثواب ويتلقى الإنسان عقابه أو ثوابه وهو الأمر الذى يترتب عليه عدم وجود جنة أو نار فلا مكان لهما عندهم ؛ ولكن لديهم نهاية للزمان خاصة بهم وتتمثل فى عودة " الحاكم" بعد غيابة ليقودهم ويتزعمهم لهدم الكعبة وحرب المسلمين والمسيحيين حتى يتسنى لهم حكم العالم كله ، وبالطبع يعتقدون أن للحاكم خمسة رسل كلفهم بنشر العوة وهم حمزة ، وإسماعيل ومحمد الكلمة ، وأبو الخير وبهاء وهم الذين وضعوا القواعد الفقهية للمذهب وأمروا أتباعهم بضرورة التستر والكتمان وعدم البوح بتفاصيل مذهبهم لأى شخص حتى أن

كثيرا منهم لا يعرفون حقائق وأسرار المذهب فلا يسمح للشباب أن يطلعوا على أسرار الديانة الدرزية ولا الاطلاع على الكتب المقدسة حتى سن الأربعين .

ولهم ممارسات خاصة بهم فهم لا يصومون شهر رمضان ، ولا يحجون إلى بيت الله الحرام فهم ينتظرون موعد هدمه بقيادة " الحاكم " ولهم أماكن خاصة بهم يحجون إليها وهي " خلوة البياضة " في بلدة حاصبية في لبنان والخلوة لديهم تشبه المسجد فهم لا يصلون في المساجد وابتكروا بدلا منها " الخلوات " وهي موجودة في كل قرية درزية ، والخلوة هي بناء متواضع يخلو من أى زينة ، والخلوة مكونة من قاعة كبيرة مقسمة لقسمين أحدهما للرجال والآخر للنساء ، ويوجد في الخلوة دولا ب به كتب الصلاة ورفوف صغيرة يضعون عليها الكتب ساعة الصلاة وتفرش الخلوة بالسجاد ، والصلاة لديهم تختلف عن صلاة المسلمين ، فهم يقيمون الطقوس الدينية مرتين في الأسبوع في ليالي الأحد والخميس، أما الوضوء فهو أمر غير ضروري مادام المصلى نظيفا ، وهم لا يقومون بالطبع بزيارة المسجد النبوي ولكنهم يزورون بدلا منه " الكنيسة الريمية " في قرية معلولا بدمشق ، والصوم لديهم معناه الامتناع عن الرفث «العلاقة الزوجية» ويجوز فيه الأكل والشرب وموعده عشرة أيام من ذى الحجة وينتهي بالعيد ، والزكاة ليست فريضة ، ويحرمون التزاوج مع غيرهم ولا يوجد لديهم تعدد زوجات ، والمرأة إذا طلقت من زوجها فلا يمكن أن تعود إليه أبدا فالطلاق لديهم يقع من مرة واحدة ، كما يحظر أيضا على مطلقها أن يتقابل معها في أى مكان أو حتى في الشارع الذى تسير فيه ، ويحرمون أن تثرث المرأة ولا يعترفون بحرمة الأخت والأخ في الرضاعة ، ولا يقبلون أن يعتنق أحد المذهب الدرزي فهو دين أغلق على من اتبعه منذ البدايه كما لا يعترفون بأن الدرزي يمكن أن يترك دينه فإذا اعتنق أحدهم الإسلام أو المسيحية فهو لديهم درزي ولا يمكنه أن يخرج من دينه ، كما يحرم على الدرزي شرب الخمر وأكل لحم الخنزير وأكل الملوخية ، كل هذه التعليمات من المؤكد أن الحاكم بأمر الله لم يضع منها شيئا وإنما وضعها حمزة الذى تولى مسألة تأليه الحاكم فى حياته وسعى لتبرير غرائب وشدوذ تصرفاته بأنها حكمة إلهية ولم يرضه أن عجائب الحاكم انتهت باختفائه فهو بذلك سيفقد مصدر قوته وسطوته فكان لابد أن تستمر أسطورة الحاكم حتى يستمر نفوذه هو شخصيا . فحمزة بن على بن محمد الزوزنى الفارسى هو الذى حول الحاكم إلى إله واختار

لنفسه أن يكون رسوله .

فمبتدعو الأديان والمذاهب نوعية شديدة الخصوصية بين البشر فهم لم يرتضوا أبدا أن يندرجوا فى مصاف البشر العاديين ولم يرضهم أن يكونوا تابعين لأديانهم ومذاهبهم التى ولدوا عليها ولكنهم اختاروا أن يكونوا آلهة ورسلا ، فتنقلوا ما بين الأديان والمذاهب وما رفضوه فى الدين الذى ولدوا عليه وخرجوا منه اتفق مع دين آخر "فأريوس" على سبيل المثال رفض ما جاء فى المسيحية الأرثوذكسية من عقيدة التثليث ونادى بأن المسيح عيسى بن مريم بشر وهو رسول من عند الله وكلمة منه واتفق ما نادى به مع الإسلام الذى ظهر بعد أريوس بحوالى ثلاثمئة عام تقريبا ، ليعود وتظهر تعاليمه ويؤمن بها مسيحيون وينادى بها "شهود يهوه" بعد حوالى ألف وثمانمئة عام تقريبا من ظهور أريوس حتى أن كثيرا من رجال الدين المسيحي يعتبرون أن مذهب شهود يهوه هو امتداد للفكر الأريوسى ، وهو ما رصدناه من ظهور فكر الخوارج وعودته مرة أخرى بين أبناء الجماعات التكفيرية بعد ألف وأربعمائة عام تقريبا ، وهو أمر يؤكد أن "الكلمة" تتجاوز الأزمان وتظل خالدة حتى قيام الساعة ، فالبشر فانون والكلمة خالدة ، وتركيبية النفس البشرية شديدة الغموض والتعقيد والتطلع أيضا فهناك أشخاص لا يرتضون أن يكونوا تابعين وإنما لابد أن يتبعهم الآخرون ولا يوجد أهم من الدين لكى يحقق ذلك الهدف فالمال والسلطة والنفوذ أمور تزول بغياب أصحابها أما الدين فهو الوسيلة الوحيدة التى تأتى لصاحبها بالنفوذ والثروة والسلطة التى لا تنتهى بزوال صاحبها وهكذا شعر "هاشم بن حكيم" القائد الخراسانى الشهير الذى ضاع منه نفوذه وسلطته كقائد عسكري فى جيش أبى مسلم الخراسانى فانتهز الفرصة وحول نفسه إلى إله معبود يخر له الأتباع ساجدين ، رغم وجهه المشوه الذى كان يخفيه بنقاب حريرى مطرز زاد من جاذبيته وغموضه أمام أتباعه ، وإذا كنت فى هذا الكتاب قد اخترت مجموعة من الأئمة الذين ابتكروا أديانا ومذاهب فان هناك كثيرين غيرهم ، لم نرصدهم اخترنا النماذج المحورية الهامة لنوضح ونثبت الفكرة.